13 me Année No. 604

Lundi - 29 - 1 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٠٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ صفر سنة ١٣٦٤ — الموافق ٢٩ يناير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الفهـــرس

صفحة

٩٢ أبو العلاء المعرى .. ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

١٠٠ نحن والتجار .. ... : الأستاذ على الطنطاوى . .

١٠٣ سبيل مطروق ... .. : الأستاذ زكريا إبراهيم ...

١٠٦ إشهار الرؤوس المقطوعة فى أيام العباسيين ... ... : الأستاذ ميخائيل عواد . .

١٠٨ معرض الفن البريطانى الحديث : الأستاذ نصرى عطا الله سوس

١١١ المسلمون فى بولندا ... . . : الأستاذ مصطفى كمال عبد العليم

١١٣ العصبية للفرقة ... ... : الأستاذ محمود الشرقاوى

١١٤ شريد [قصيدة] ... .. : الدكتور عزيز فهمى ...

١١٥ الجارم البرىء [قصة] . . : الأستاذ حبيب الزحلاوى

٢٤٠٧

ابو العـــلاء المعرى (*)

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١ —

كان النبيُّ محمد ، وكان هذا القرآن ، هذا الكتاب المعجز ، فكانت تلك الدنيا العجيبة العربية ، وكان مع الهدى والخير ذلك العلم وذلك الأدب وتلك الفنون ، وكان أولئك الأئمة وأولئك النابغون وأولئك المبقريون ، وكانت تلك المؤلفات الفائقات المحققات ، وكان أولئك المؤلفون الراسخون فى العلم المستبحرون. وكان هذا المبقريُّ أبو العلاء المعرى (احمد بن عبد الله بن سليمان) رب هذا المهرجان .

كانت الحضارة العربية ، وكانت هذه المدنية الغربية ، ولن يقدر أن يكفر إفضال المفضلين كافرون . فمحمد والقرآن هما شائدا هذا المجد ، وهما القائدان ، وهما الهاديان ، وهما الشمسان الباهرتان ، ذواتا الضياء السرمدىّ فى العالمين . .

« كما أرسلنا فيكم رسولا يتلو عليكم آياتنا ، ويزكيكم ، ويعلمكم الكتاب والحكمة ، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون — فاذكرونى أذكركم ، واشكروا لى ولا تكفرون » .

* * *

(*) الخطبة التى ألقاها الأستاذ فى مهرجان أبى العلاء الذى اقيم بدمشق فى شهر سبتمبر الماضى .

« دمشق عروس الشـــام الموموقة ، وواسـطة عقدها المرموقة » .

فى دمشق هذه التى قلت فيها ـ يا أبا العلاء ـ قولك هذا فى رسالتك إلى (أبى منصور محمد) قد مهرجت العربيون لك اليوم هذا المهرجان بعد ألف سنة من سـعادتك بكونك وسـعادة العربية بك . وإن أمة أقامت من بعدك هـذا الدهر الأطول تصارع الكروب والخطوب ، وتقارع تلك الهمجيات الشرقية والوحشيات الغربية ثم لم تبيد بل لم تهن ولم تستكن ، إن أمة وقاها كتابها ووقت لغتها ولسـان كتابها ؛ وعرفت قدرها فى الاقدار ، وفضلها من قبل ، ومساها اليوم ، وأرادت ألا تزول وأن تكون فكانت ، إن هذه الأمة لقوية وعزيزة وسـائدة وخالدة فى الخالدين .

* * *

بلاد الشام جلها ، ولا أقول كلها ، و « إن مع اليوم غدا يا مُسعِدة[1] » لا تردد كثيراً فى الوقت قول الشيخ :

ألفنا بلاد الشـام إلف ولادة نلاقى بها سود الخطوب وحمرها
فطورا تداوى من سبيعة ليثها وحينا نصادى من ربيعة نمرها

فالحال اليوم ـ يا أبا العلاء ـ متهادن ، والدهر مهادن . وفى الدار من قبيلك صالحون وصـادقون ومخلصون و« ما الخلاص إلا فى الاخـلاص » كما يقول ابو منصور الثعـالبي[2] ورئيس القوم[3] ملآن من الفضائل الاسلامية ومن العربية والوطنية ، وهو كما أردت وكما أحببت وكما قلت :

إذا ما تبينا الأمور تـكشفت لنـا وأمير القوم للقوم خادم

لا يتركنّ قليل الخير يفعله
من نال فى الأرض تأييداً وتمكينا

وقد أتى بكثير الخير وأكثره . ومهرجانك هذا هو حسنة من حسناته .

* * *

كونت العربية فى اللغات تكوين الألماس[1] والراديوم فى المعدنيات .

« صنع الله الذى أتقن كل شىء »

ولله أن يفضل لسانا على لسان ، وأن يحظى إنسانا على إنسان[2]

« ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات »

والشيخ يقول فى « الفصول والغايات » : « وربك خص بالفضيلة من اختار » وإذا قال العبقرى ابن جنى : « إننى إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاف والرقة ما علك على جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر » فما غالى بما قال ولا بالغ بل كان من المقتصدين . وهذا شيخ المربانيين العلامة الكبير (نَلّينو) الذى حذق لغات متقدمين ومتأخرين من الغربيين والشرقيين يعالن فى خطبة غير متسمح فى الكلام ولا مُصاد بأن « العربية تفوق سـائر اللغات رونقا وغنى ، ويعجز اللسـان عن وصف محاسنها »

« ولو أبصروا ليلى لأقروا بحسنها
وقالوا بأنى فى الثنـاء مقصر »

فـ « لغة العرب أفصح اللغات ، وبلاغتها أتم البلاغات[3] » ولو تمثلت لغة غادة لأنشد المنشدون :

فدقت وجلت واسبكرّت وأكملت
فلو جُن إنسان من الحسن جنّت[4]

* * *

فتنت هذه العربية «أبا العلاء» فتونا ، وسحرته فنونها ، فأقبل وجلا مسحورا . شُغف بكتابها « قرآنها » ذاك الشغف ، وكلف بقريضها أى كلف ، وهام بألفاظها هيامه بأقوالها .

---

(١) من أمثالهم ، قال الميدانى : يضرب مثلا فى تنقل الدول على مر الأيام وكرها

(٢) فى كتابه (المبهج) ورواه فى كتابه (الايجاز والاعجاز)

(٣) صاحب الفخامة السيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية

---

(١) هو الالماس ، والهمزة واللام فيه أصليتان ، ولم يصب المجد فى قوله : « ولا تقل ألماس فانه من لحن العامة » وقد وجدت الالماس فى (الفائق) ج ١ ص ٣٣٤ وفى (النهاية)

(٢) أحطيت : الاما على فلان من الحظوة والتفضيل (المخصص)

(٣) الزمخشرى

(٤) الشنفرى الأزدى فى مفضليته (اسبكرت) طالت وامتلأت والمعنى — كما يقول الانبارى شارح المفضليات — : دقت فى حينها ، وجلت فى خلقها .

« إن هذا الكتاب الذى جاء به محمد كتاب بهر بالاعجاز . ما حُذى على مثال ، ولا أشبه غريب الأمثال . . جاء كالشمس اللائحة . . لو فهمه الهضب الراكد لتصدع[1] [وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون] وإن الآية منه أو بعض الآية ليعترض أفصح كلام يقدر عليه المخلوقون فيكون فيه كالشهاب المتلألىء فى جنح غسق [فتبارك الله أحسن الخالقين[2]] » .

« أجدنى ركيكا فى الدين ركاكة أشعار المولدين[3] » .

(١) الكتاب يقول : لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ..

(٢) ابو العلاء فى (رسالة الغفران) .

(٣) أبو العلاء فى (الفصول والغايات) .

سئل أبو عمرو بن العلاء — كما روى ابن رشيق فى العمدة — عن المولدين فقال : ما كان من حسن فقد سبقوا اليه ، وما كان من قبيح فهو من عندهم . ليس النمط واحدا ، ترى قطعة ديباج وقطعة مسح (ثوب من الشعر غليظ) وقطعة نطع (بساط من الاديم : الجلد)

وروى غير صاحب العمدة لابن الأعرابى هذا القول :

إنما أشعار هؤلاء المحدثين مثل الريحان يشم يوما و يذوى فيرمى به ، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا

وللقاضى الجرجانى فى الوساطة بين المتنبى وخصومه ولابن الاثير فى (المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر) قولان أروعهما وان خالفا مقالة الشيخ

قال الأول : ان الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان ، ولست أفضل فى هذه القضية بين القديم والمحدث والجاهلى والمخضرم والاعرابى والمولد ، إلا أنى أرى حاجة المحدث إلى الرواية أمس وأجده إلى كثرة الحفظ أفقر

وقال الثانى :

لقد وقعت من الشعر على كل ديوان ومجموع ، وانفدت شطرا من العمر فى المحفوظ منه والمسموع ، فألفيته بحرا لا يوقف على ساحله ، وكيف ينتهى الى إحصاء قول لم تحص أسماء ناثليه . فعند ذلك اقتصرت منه على ماتكثر فوائده ، وتنشعب مقاصده . ولم اكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم فى اتباع من قصر نظره على الشعر القديم إذ المراد من الشعر انما هو ايداع المعنى الشريف فى اللفظ الجزل واللطيف ، فمتى وجد ذلك (فكل مكان خيمت فيه — بابل)

(قلت) : قوله (فكل مكان الخ) هو عجز بيت للأبيوردى فى مقطوعة رواها ياقوت فى أثناء خبر من أخبار الشاعر ولا يتضح ما اقتبسه ابن الاثير الا بايراد المقطوعة بتمامها وهى :

أبابل ، لاواديك بالخير مغدم ... لراج ، ولا ناديك بالرفد آهل

إذا منعت عنى فالبلاد فسيحة ... وحسبك عارا أننى عنك راحل

وإن كنت بالسحر الحرام مدلة ... فعندى من السحر الحلال دلائل

فوالله نعيما الأعين النجل سحرها ... وكل مكان خيمت فيه — بابل

ومن علق بأقوال العرب الأقدمين من الجاهليين أو المخضرمين أو الاسلاميين استنزل كلام المحدثين ، وقضى قضاء أبى العلاء . وللكلام العربى القديم سلطان قاهر إذا استمكن من نفس خليطه سحره عما سواه ، فلا يتقبل إلا إياه . ولولا أن عبقرية أبى تمام وعبقرية المتنبى جهرتا الشيخ وبهرتاه ما كان فخّم حبيبا فى « رسالة الغفران » ذاك التفخيم مشيراً إلى مُقصّدات له فائقات ثم قال : « إنى لأضن بتلك الأوصال ، أن يظل جسدها وهو بالوقدة صال ؛ لأنه كان صاحب طريقة مبتدعة ، ومعان كاللؤلؤ متقبة ، يستخرجها من غامض بحار ، ويفض عنها المستغلق من المحار[1] » وما كان افتتن بأبى الطيب تلك الفتنة[2] . وسبك حبيب — وإن كان محدثا — عجيب . ولغته قد ضارعت أو قاربت فى القوة قديمة مطبوعة .

***

ذكر صاحب (الغيث المسجم فى شرح لامية العجم) جماعة من « الذين رزقوا السعادة فى أشياء لم يأت بعدهم من نالها »

(١) المحار جمع المحارة : الصدفة .

(٢) فى مقالتى (أخبار أبى تمام للصولى) فى الرسالة ٢٢٥ السنة ٦ وفى مقالتى (ابو تمام والمقتطف) الرسالة ٢٢٥ السنة (٦) بينت شيئا من فضالة أبى تمام فى الشعر ، ورويت أقوالا لأئمة فيه ، ومما لم أورده فى تينك المقالتين هذه الأقوال :

كان يقال : أربعة لم يسبقوا ولم يلحقوا : أبو حنيفة فى فقهه ، والخليل فى نحوه ، والجاحظ فى تأليفه ، وأبو تمام فى شعره

فى (للوشح) :

نظر يعقوب الكندى فى شعر أبى تمام فقال : هذا رجل يموت قبل حينه لانه حمل على كيانه بالفكر ، ويقال : إن أبا تمام مات لثنتين وثلاثين سنة وفيه :

محمد بن أبى كامل قال : شهدت أبا تمام الطائى فى منزل الحسين بن الضحاك وهو ينشد شعره فقال له اسحاق يافتى ، ما أشد ما تتكىء على نفسك ، يعنى أنه لايسلك مسلك الشعراء قبله وانما يستقى من نفسه

قال أبو بكر الصولى فى كتابه (أخبار أبى تمام) :

حدثنى ابوالحسن الكاتب قال : كان ابراهيم البندنيجى يجيئنا كثيراً ، وكان اعلم الناس بالشعر ، ويجيئنا البحترى وعلى بن العباس الرومى ، وكانوا اذا ذكروا أبا تمام عظموه ورفعوا مقداره فى الشعر حتى يقدموه على اكثر الشعراء ، وكل يقر باستاذيته وانه منه تعلم ، وهؤلاء أعلم زمانهم بالشعر ، وأشعر من لقى

(٣) كان ابو العلاء — كما رووا — اذا ذكر الشعراء يقول : قال أبو تؤاس كذا ، قال البحترى كذا ، قال ابو تمام كذا ؛ فاذا أراد المتنبى قال : قال الشاعر كذا تعظيما له